



## ربيعنا العربي و انتقام الفلسفة

د. مشاعل عبد العزيز اسحق الهاجري  
Mashaal.alhajeri@ku.edu.kw  
18 أكتوبر 2011

ربيعنا العربي، ما هي خارطته الفكرية؟



تاريخياً، لاحظ أن الثورات التي قدر لها النجاح الكبير في تحقيق أهدافها هي الثورات التي سبقتها مرحلة أولية من تحضير التربة الذهنية الشعبية من خلال ما يعرف بـ "التنظير". فالثورة الأمريكية (1763-1783) بنت أساساتها الفكرية القوية على الموروث الفلسفي الأثيني و الاسبارطي و الروماني، كما عبرت عن ذلك بوضوح "الأوراق الفيدرالية" The Federalist Papers التي كتبها ثلاثة من أعلام الفكر السياسي الأمريكي وهم جيمس مادسون و الكسندر هاملتون و جان جي. و الثورة الفرنسية لم تنجح فتشع بنورها على جميع دساتير العالم من فراغ؛ بل حققت ما حققت لأنها سبقها ما يقرب من المائة سنة من التنوير الفكري أو ما يعرف بـ "عصر الأنوار" Age of Enlightenment (فولتير، روسو، ديدرو، كوندياك، دالامبير، كوندورسيه إلخ). كان الأمر كذلك مع الثورة الروسية البلوشفية 1917 التي سبقها تنظير خصب دار في أوروبا بأكملها على يد كارل ماركس و فريدريك إنجلز و لحقهم، بعدها، لينين و تروتسكي و كثيرون.

هذه الثورات العظمى خالطها ما خالطها من غضب و فوضى و دماء – كما هو المنطق التاريخي لجميع الثورات – و لكنها مع ذلك كانت تمتلك خارطة طريق فكرية. هذه الخارطة الفكرية هي صك الانتماء الى عقيدة "الثورة"، من دونها لا يكون أي حراك اجتماعي، مهما بلغ زخمه، سوى انفعال جمعي مرجعيته هي العاطفة المحضة. هذه - كما نعلم - لا عقل لها.

تحدياتنا الحضارية تعرض نفسها على عدة أشكال، و لكن من يبحث في جذورها يجد أنها في غالبيتها تشترك في تعاملنا معها بتغيب كامل للمنهج الفلسفي. ما من تقدم يقوم دون الفلسفة. الفلسفة - أكاديميا- هي "صمغ" جميع المعارف، و هي المصنع الأول المزود للمنتجات الفكرية اللازمة للبدايات الصحيحة في جميع العلوم (بحث، شك، تفكير انتقادي، تجرد، موضوعية، منهج، استقراء، تجربة، برهان، استنباط، روابط منطقية، علاقات موضوعية). الفلسفة، صريحة كانت أم مضمرة، هي جزء من التكوين المعرفي للشعوب الأوروبية مثلاً، فأدواتها مدمجة دمجاً ضمن المناهج التعليمية و لو لم يتم تسميتها، و لذلك فهي شعوب – في عمومها على الأقل – رشيدة، و إن وجد فيها طوائف من المتطرفين و البسطاء و الغوغائيين.

يصعب جدا الشروع ببناء حضارة من غير أدوات كهذه. تحت دعوى تحريم الفلسفة، أهدرنا من زمننا العربي و الإسلامي سنوات طويلة كان يمكن ان ننشغل خلالها بصناعة تلك الأدوات. هذا الاستثمار التاريخي الذي أضغناه كان يمكن أن نحصل أرباحه اليوم. بإهدارنا للفكر الفلسفي المنظم و مناهجه العلمية و المنطقية، ارتكبنا غلطة حضارية لم تجرأ أية أمة عدانا على ارتكابها. على جميع الجبهات،

نحن الآن ندفع الثمن التاريخي الباهظ لتغيب الفلسفة من حياتنا.